هذا نظر يدلك اجمالاً على بعض الآثار العلميَّة في بحر السنة ١٩٠٤ ومنهُ ترى انَّ العلوم في ترقٍ متواصل فيا ليتها تقرّب الانسان الى خالقهِ الذي وفَّر في الطبيعة كل هذه الوسائل لسعادتهِ الزمنيَّة كي يستعين بها الى بلوغ غايتهِ القصوى

رتبة ذرّ الرماد

لمة تاريخية لحضرة المحوري ابراهيم حرفوش المرسل اللبنانيّ

ان عادة ذرّ الرماد على الرأس عادة عريقة في القدم مدلولها الاسف والندم على ما ارتكبهُ المخلوق من المعاصي في حق الخالق . ولا غرو ان خصَّت الكنيسة الرماد بهذه الرتبة لما وجدت فيهِ من الرمز الواضح الى اصل الانسان وآخرتهِ اذ كوَّنهُ الخالق من التراب ويكون مصيرهُ بعد موتهِ الى قليل من العفر والرماد

واعلم انَّ في العهدين القديم والحديث امثلة كثيرة تشير الى هذا الامر . فترى كثيرين من اولياء الله اذا ارادوا الدلالة على فرط اغتمامهم لارتكاب الآثام او حاولوا اخماد غضب الله في الرزايا العموميَّة او في النكبات الخاصَّة حثَوا الرماد على رؤوسهم او تمرَّغوا في التراب . فمن ذلك ما قالهُ ايوب البارّ لمَّا تخوَّف اسخاطهُ تعالى (٤٢ : ٦) : « اني أُنكر مقالتي واندم في التراب والرماد » . وكذلك داود النبي قال منيباً الى الله في سفر المزامير (١٠١ : ١٠) . « اني آكل الرماد مثل الخبز » مشيراً الى انهُ يذرُّ الرماد على خبزهِ تقشُّفاً . وكان انبياء اسرائيل اذا حملوا الشعب على التوبة حرَّضوهم على البكاء وعلى حثو الرماد على رؤوسهم وربَّما سبقوهم الى ذلك . وكان الله اذا رأى تذلُّلهم على هذه الصفة غفر للشعب خطاياهم ورضي عنهم كما فعل باهل نينوى وكما كفَّ ضرباتهِ عن بني اسرائيل وصفح ذنب داود ومنَّى . وقد اشار السيد المسيح الى هذه العادة القديمة لمَّا وبَّخ اهل كورزين وبيت صيدا على عصيانهم وقساوة قلوبهم قائلاً انَّ الوثنيين من اهل صيدون لو رأوا الآيات التي فعلها تعالى بينهم لتابوا الى الله بالمسح والرماد (١

١) من العجيب ان الهنود (على ما روى العالم برتران مؤلف معجم الاديان والمذاهب) يكرمون غاية الاكرام رماد رجيع البقرة اليابس ويلطخون على الرش ننهُ مفاعيل التنقية من الاقذار

وعلى مثال ما تقدَّم مشى التائبون في الاجيال الاولى للنصرانيَّة فكانوا يبادرون الى الكنيسة في افتتاح الصوم ناثرين الرماد على رؤوسهم لابسين المسوح حفاة منكسي الرؤوس وكان الكاهن الموكول اليهِ امرهم يدوّن اسماءهم ويفرض عليهم كفَّارةً تولزي جرمهم وكان الاسقف يبارك الرماد ويذرّ منهُ على رؤوسهم قائلًا: « تذكر يا انسان انك تراب والى التراب تعود كفِّر عن اثامك لتنال الحياة الابدية » . ثم كان يبارك المسوح ويُلبسها التائبين وهو يتلو مع الحاضرين سبعة مزامير التوبة وغيرها من الصلوات ويخطب بهم مذكرًا خروج الاب الاوَّل من الفردوس بعد المعصية وانهُ على مثال ذلك يقتضي إبعادهم عن الكنيسة الى مدة من الزمن . وبعد ذلك يأخذ احد التائبين بيده فيتبعهُ الباقون ممسكين بايدي بعضهم فيخرجهم خارج الكنيسة ويرشدهم الى الاعتصام بحرى المراحم الالهية وان يمحوا سجلّ اثامهم بالتوبة النصوح فيؤهَّلون الى المصالحة مع البيعة والحل من خطاياهم يوم خميس الاسرار . وقد اتى ترتوليانوس على ذكر هؤلاء التائبين ودعاهم الرماديين (cinerati) واراد بهم الذين يذرّون الرماد على رؤوسهم حزنًا وندمًا وتوبة لله . فهذا المشهد حمل المسيحيين الورعين انفسهم على التأسي بتوبة الخطأة المشهورين .

ولكن في اي عصر عمَّ هذا الطقس افراد المسيحيين دون تقييد فالجواب منذ عهد مجمع بانڤان (١ سنة ١٠٩١ ومذ ذاك الاوان دُعي اليوم الاول من الصوم الاربعيني باربعاء الرماد في الكنيسة الغربيَّة ولكن على الاصح هذا اليوم كان موعدًا لافتتاح الصيام من الجيل الثامن على ما ذهب اليهِ امالار شماس كنيسة مِتْس الذي عاش الى سنة ٨٤٠ م وقد الَّف كتابًا في الطقوس ولسند مدعاه الى كتاب طقسي قديم كان

البدنية والاوزار الروحية . فيدهنون جذا الرماد بلاط مساكنهم وجدرانها وسائر المتاع ويضمون منهُ صباحًا على الجبهة والصدر والكتف وقد يتناولهُ البعض مدوقًا . . . تأمَّل

١) بانڤان (Bénévent) مدينة من مدن ايطالية بالقرب من نابولي عُقد فيها جملة مجامع منها هذا المجمع المسطور اعلاه عقده البابا اورباتوس الثاني في اوائل نيسان رتب فيهِ اربعة قوانين وفي هذا القانون الاخير ما مؤداه منع الصوام عن اكل اللحم يوم اربعاء الرماد وان يدهن المسيحيين جميعًا دون استثناء بالرماد . والامتناع عن حفلة الزواج في الصيام الى ثمانية ايام بعد العنصرة وبعد الاحد الاول قبل الميلاد الى ثمانية ايام بعد عيد الدنح والظهور الالهي (عن معجم الجامع من مجموعة الاب مين)

محفوظاً في خزينة كنيسة طولون الكاتدرائيَّة يرتقي على الاقلّ الى سنة ٧١٤ م الَّا ان عادة ذر الرماد أُدرجت في الكنيسة بمنزلة طقس عمومي على ما ذهب اليهِ المدققون منذ الجيل الثاني عشر وهذا يلوح القانون الرابع من مجمع بانقان الذي اشرنا اليهِ

ولا بدَّ لنا هنا من ذكر ما جرت عليهِ ليتورجية ميلانو قبل توحيد الطقوس الغربية فجعلت نثر الرماد ليس في افتتاح الصوم لكن في اليوم الاول بعد عيد الصعود وهو ابتداء ايام الطلبات عندهم (rogations) وعبّر عنهُ السريان بلفظة ܩܛܢܐ . كذلك انفردت احدى المقاطعات في فرنسة بعادة نثر الرماد ليس فقط نهار الاربعاء كما يجري الان بل نهار كل جمعة من اسابيع الصوم ومما يجدر بالذكر ان بعض الكتب الطقسية القديمة في الغرب تذكر « انك تراب والى التراب تعود » ثم يلتفت الكاهن الى التائب سائلاً : « اتقبل بطيبة خاطر الرماد والمسح بمنزلة شاهدين على توبتك امام الرب يوم الحشر » . فيجيب : « انا راضٍ »

وقد حان الآن ان نتكلم عن عوائد الطوائف الشرقيَّة من هذا القبيل . فمن الظاهر انهُ لا ذكر لهذه الرتبة عند واحدة منها وقد تفرَّدت طائفتنا المارونيَّة بهذا الامر فتحتفل بهذا الطقس نهار الاثنين الاول من الصوم وذلك لانها تبدأ الصوم من هذا النهار طبقاً لعوائد الشرقيين ويظهر ان هذه العادة كانت مرعية في اقليم پروڤنس في فرنسة ذكرها احد العلماء الطقسيين وهو دوران دي منذ (Durand de Mende) الذي سُقِف على ابرشيَّة مَنْد سنة ١٢٨٦ . ومما قالهُ : « نحن سكان پروڤنس نبدأ الصوم نهار الاثنين وننثر الرماد نهار الاربعاء »

أمَّا رتبة الرماد وصلواتها فيظهر لادنى تأمل انها مترجمة عن اللاتينية ما عدا بعض ايات سريانية ترتَّل خلال الحفلة . وعندنا يدهن الكاهن بالرماد جبهة الاكليروس والعوام على السواء بخلاف الكنيسة اللاتينية فانها تنثر الرماد على رأس الاكليروس وتدهن بهِ جبهة العوام برسم صليب

ولسائل اي متى دخلت هذه الرتبة في طقوس طائفتنا المارونية فالجواب ان دخولها كان من امدٍ قريب والدليل ان المجمع اللبناني الذي عُقد سنة ١٧٣٦ قد اتى على تعداد الرتب التي يجب على كاهن الرعية ان يقوم بها ولم يذكرها البتة . وهي على الاصح من تأليف السعيد الاثر البطريرك يوسف اسطفان ما لم يُقل ان طابع وجامع كتاب

الرتب في رومية وهو المطران نقولا مراد قد اضاف هذه الرتبة وادخلها في سلك ما طبعهُ

أثر نصراني قديم

او ترجمة مار ابراميوس القديس بالعربيَّة

نشره حضرة المنوري جرجس كراف مدير المدارس في دلتجن من اعمال باقارية

تَوطِئَة

قد اشتهر بين كتبة تراجم القديسين في اواسط القرن السادس اسقف يونـاني يدعى تيرلّس ولد نحو سنة ٥١٠ ثمّ ترهب وقضى سنين من حيـاتهِ في دير مار سابا الشهير الى ان سُقِّف على مدينة سيثوبوليس (Scythopolis) في عبر الاردن. ومن تآليفهِ المشهورة ترجمتا الناسكَيْن الجليلين في القديسين مار اوثوميوس (اثيميوس) ومار سابا طُبعتـا غير مرَّة في اصلهـا اليوناني. ولهُ تراجم اخرى اخذتها ايدي الضياع

على انهُ يوجد في بعض خزائن الكتب الشرقية في اوربَّة ما بـدُّ هذا الخلل فمن ذلك كتابان مخطوطان من اقدم الآثار النصرانية. احدهما يُصان في المكتبة الواتيكانية (Cod. Ar. 71) خُطَّ في السنة ٨٨٥ للميلاد يد « اسحاق الراهب في دير طور سينا على نسخةٍ خطَّها داود بن سينا (١ البغدادي الراهب في دير مار سابا (٢ » والكتاب الآخر حصل عليـهِ تيشندورف وهو اليوم في مكتبة كليَّة ليبـيك (Leipzig, Cod. rescriptus Tischendorf, 2) وهذا الكتاب مكتوب على رقٍّ خُطَّ عليهِ سابقًا فصول يونانية من الكتاب المقدس ثمّ حُكَّت الكتابة فخُطَّت فوقها بالعربيَّة تراجم القديسين لتيرلّس الاسقف. والكتابة ايضًا لداود الراهب المذكور الذي كان كاتبًا في دير مار سابا (٣ نحو السنة ٨٨٥ حتى السنة ٨٩٠

وممَّا تحتويهِ النسخة الواتيكانية من سير الآباء القديسين ومناقبهم لتيرلّس اولًا ترجمتـا القديسين « اوثيميوس وسابا » وهما كاملتان امَّا في نسخة ليبـيك فغير كاملتين. ثمّ بداءة ترجمة

---

١) هذا العلم مبهم الكتابة لهُ « سليمن »

٢) ومن هذا الكتاب نسخة اخرى في خزانة الواتيكان الّا انها حديثة (Cod. Ar. 695)

٣) راجع ما جاء في صدده = ZDMG, I, 148, *seqq.*; VIII, 587; XV, 386 Assemani: B. Or., II, 510; Mai: *Coll. Nova* IV, 143